مقاتلة الحاكم عند الإمام البوطي قبل ٢٠ سنة

مقتطعة من درس رياض الصالحين رقم 547 عام 1995

الإمام الشهيد محمد سعيد رمضان البوطي

لا بد أن نقف وقفة تذكر وتذكير وتحسّر، على إعراضنا عن هذا الذي يقوله وينبهنا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن هذا الذي يقوله وينبهنا إليه قبل رسول الله كتاب الله سبحانه وتعالى، يعني نحن نلاحظ أيها الإخوة أن نفس الإنسان وروحه هانت على كثير من المسلمين، لا نقول كل المسلمين، وكأن الروح الإنسانية غدت عبارة عن روح ذبابة، لا أكثر، طبعاً أنا لا أتحدث عن الذين يرفعون فوق رؤوسهم شعارات الظلم باعتزاز، هؤلاء ظلام وارتضوا لأنفسهم أن يكونوا ظلاماً، وقطعوا مما بينهم وبين الله كل الصلات، أي أنني لا أتحدث عن هؤلاء الظالمين الذين ينفخون في نار الظلم في مسلمي البوسنة، لا أتحدث عن هؤلاء الظالمين الذين ينفخون نيران الظلم بين مسلمي الشيشان، لا أتحدث عنهم، هؤلاء ظالمون فعلاً، وارتضوا لأنفسهم هذا، وإن نعتوا أنفسهم بالديمقراطيين، وإن نعتوا أنفسهم بحراس حقوق الإنسان لكننا لسنا من الغباء بحيث نصدق هذه الشعارات التي تخفي نقائضها، على كل هؤلاء لهم مصالح في عاجلتهم ودنياهم في أن يحصدوا حياة الناس الآمنين المسالمين حصداً لأن مصالحهم الخاصة بهم تقتضي ذلك ولعن الله تلك المصلحة التي لا تتحقق إلا على جماجم الآمنين البرءاء لكن هكذا اعتقادهم، لكن أنا أتحدث عن مسلمين بايعوا الله ولا يزالون يبايعونه، مسلمين يسمعون كلام الله ويسمعون كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعون من يناشدهم ألا يا أيها الناس كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة، كفوا أيديكم عن القتال، حلوا هذا الاشتباك هنا وهنا وهناك، فلا تجد سامعاً، لقد أسمعت لو ناديت حياً، هؤلاء هم الذين نقول لهم هذ الكلام، ينبغي أن نذكر ثم نذكر ثم نذكر، رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)**.

وإذا قال قائل ما هو الظلم، الظلم أليس هو الاعتداء على حياة إنسان بريء، نحن لا نعتدي على حياة إنسان بريء، نحن نزهق حياة إنسان ظالم، الحاكم ظالم، أعوانه ظلمة هؤلاء هم الذين نزهق حياتهم، أنا لا أشرع، هذا شأن من يشرع لنفسه، هذا التفسير تفسير باطل لم يأذن به الله عز وجل، فلا يجوز لي أن أشرع لنفسي بأن أعوان الظلمة يقتلون، هذا تشريع من عندي أين أجد هذا في كتاب الله، في سنة رسول الله، في كلام أصحاب رسول الله، والحكام أيضاً، لا يجوز لي أن أنعتهم بأنهم ظلام يستحقون القتل مني. إلا أذا وجدت الشارع يعطيني هذه الحجة، والشارع يعطيني هذه الحجة من نوع واحد، عندما يعلن هذا الحاكم كفره، يعلن كفره ويصبح كافراً، عندئذ أمسكت بحجة فعلاً تجعلني عندما أخرج عليه، أخرج عليه بسلطان، أي بحجة دينية سليمة، لكن أنا لا أملك أن أقول هذا الحاكم أصبح أهلاً للقتل لأنه استلب مني حقي، أو لأنه أساء، أو لأنه فعل وفعل، هذا كله لا يبرر أن أقتله أو أن أقيم فتنة دهماء لا أملك حدودها وضوابطها بشكل من الأشكال، فأنا إذا سرت ما ينبغي أن أشرع لنفسي وإنما ينبغي أن أأخذ التشريع من مولاي وخالقي سبحانه وتعالى، طبعاً أنا عندما أقول هذا الكلام وأكرر، وأنا واجبي أن أقوله، وواجب كل علماء المسلمين أن يقولوه ومن لم يقل هذا الكلام ففي الواقع أنه ساكت عن الحق، لكن أنا عندما أقول هذا الكلام يقال لماذا لا تنهى هؤلاء الحكام أيضاً؟ ألا يظلمون؟ نعم يظلمون. ألا يقابلون قتل الواحد بعشرة؟ نعم، طيب لماذا لا تخاطبهم هم أيضاً. ما الجواب أيها الأخوة؟ هنالك جوابان اثنان ونحن نشرح كلام رسول الله عن الظلم وتحذيره من الظلم.

أولاً: أنا عندما أتحدث في هذا الموضوع ينبغي أن أقيم نفسي مقام من؟ مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، لو كان موجوداً، الرسول عليه الصلاة والسلام ماذا قال؟ في هذا الموضوع ذاته، لحذيفة ابن اليمان، قال: سيكون من بعدي أمراء _ حديث صحيح في مسلم وغير مسلم _ تعرفون منهم وتنكرون، لا يهتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، لا حظوا هذه الصفات، أعتقد أننا إذا حاولنا أن نطيق هذه الصفات على أي من حكام المسلمين اليوم.

لن نجد أن حكام المسلمين وصلوا إلى هذه الدرجة، التي يصفها رسول الله، لا يهتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال: فماذا تأمرني إن أدركتهم؟ قال: تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، لاحظوا أيها الإخوة الرسول عليه الصلاة والسلام وجه النصح إلى من؟ إلينا نحن، نحن الذين يمكن أن يحكمنا مثل هؤلاء الناس، طيب لماذا لم يقل رسول الله لأولئك _ هؤلاء الذين سيأتون ممن وصفهم بهذا الوصف _ أيها الحكام لا تفعلوا ذلك، ارفعوا ذلك، لا تضربوا ظهور المسلمين لا تأكلوا أموالهم، لماذا؟ ولماذا وجه الخطاب فقط إلى من؟ إلينا نحن، إلى من يُحكمون لا إلى من يَحكمون، لاحظوا، قال عليه الصلاة والسلام تسمع وتطيع، ذاك ميؤس منه، الرسول يقول لا يهتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، قلوبهم قلوب شياطين في جثمان إنس، وسأل حذيفة بلساننا جميعاً: ماذا ينبغي أن يفعل أحدنا؟ قال: تسمع وتطيع، وإن ضرب ظهرك وإن أخذ مالك، أحدنا يقول اليوم: يا أخي هو يضربني، لماذا لا تقول له هو أيضاً؟ قل هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

طيب، فعلاً الرسول عليه الصلاة والسلام لماذا لم يوجه النصح إليهم أيضاً؟ السبب أيها الإخوة: ما تعرفونه وتفهمونه من قول الله عز وجل **(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم)** ذاك باب فتنة، فإياك أن تفتح هذا الباب، المطلوب منك أن لا تفتح هذا الباب، ولكن من الذي قد يفتح هذه الفتنة ويهيجها ويثيرها؟ أنا، أنت، هو، ذاك.. لا تسبوا الذين يدعون من دون الله الواقع هذا عمل مبرور، إذا نظرت إليه بذاته، فالذين يسبون الذين يدعون من دون الله يستحقون هذا السب، لكن لا يجوز أن نسبهم حتى لا يكون عملنا ذريعة لفتنة نكون نحن سببها، هذا ما يقوله ربنا جل جلاله، وهذا ما دعا رسول الله صلى الله عيه وسلم، الفتنة فتنة، الفتنة فتنة معروفة، لكن الرسول لم يلعن الفتنة، وإنما لعن من فيتحها كما يروي أنس بن مالك رضي الله عنه قال: الفتنة نائمة، لعن الله من أيقظها، الفتنة كتلة من الظلم والسوء وما إلى ذلك. تنتظر من يحركها، هي هامدة لكنها تنتظر من يحركها، طيب النبي عليه الصلاة والسلام، ما تحدث عن الفتنة لكنه حذرنا من أن ندنو إليها فنحركها حتى تتحول إلى بركان، عندئذ لا نملك أن نضبط ولا نملك أن نحدد، هذا هو الجواب الذي ينبغي أن نعمله

دائماً في هذا الصدد، وإلا فعلاً الله يقول: **(ولا تزر وازرة وزر أخرى)** فلو فرضنا أن إنساناً ثار على حاكم طيب هو الذي يعاقب، لكن ما ينبغي أن نعاقب مجموعة من الناس لأن هذا الإنسان موجود فيما بينهم، لكن هل من فائدة لو قلنا هذا، أبداً. طيب أنا لكي أنهى أقصر طريق لنهي هذا الحاكم عن هذا البطش، ما هو؟ أقصر طريق أصل به إلى إنهاء بطش الحاكم؟ هو أن ألتفت إلى من يستثيرون غضب الحاكم، فأقول لهم كفوا أيديكم، أيها الأخوة واغمدوا أسلحتكم، وعودوا كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن فعلوا ذلك، بعد أيام تجد أن الحاكم انتهى، لكن أنا عندما أقول نعم أنتم مظلومون، زيدوا من عملكم، ما الذي سيحصل؟ سيحصل أن هذا الطرف سيشفي غليله بعشرة والحاكم الذي استشرى غضباً بسبب هذا الأمر ولا يدري كيف يقبض على العشرة؟ لأنه لا يراهم، مدسوسين هنا وهنا وهناك، يقتل بدل العشرة مئة، لكن من السبب؟ أنت. هذا الشيء منطقي، وهو شيء معروف تماماً. لذلك أنا أقول دائماً يا أيها الأخوة أنتم الذين بايعتم الله ورسوله، أنتم مسلمون، أنتم الذين تقوم بينكم وبين رسولكم محمد عليه الصلاة والسلام نسب، أستطيع أن أتفاهم معكم، أستطيع أن أفهمكم معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها**، أستطيع أن أفهمكم معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: تسمع وتطيع، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك إلا أن تروا كفراً بواحاً، أستطيع أن أفهمكم معنى قول الله تعالى: **(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم)**، لكن ذاك أنا لا أستطيع لا أملك كما لم يملك رسول الله.

ليس بيني وبينهم جسور، ومع ذلك أنا عندما أريد أنهاهم، أقصر طريق إلى نهيي لهم، أن أحذركم من هذا الأمر، هذا شيء منطقي ومعروف لكل إنسان، نعود فنقول من الذي ينبغي أن يعي هذه الكلمة النبوية العظيمة **(اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)** أشنع أنواع الظلم قتل إنسان بريء طيب والشريعة الإسلامية ماذا فعلت في سبيل ذلك؟ جعلت الإنسان المتهم مهما كانت تهمته بريئاً احتياط حتى يدان، وذلك لشدة خطر قتل النفس الإنسانية التي أزهقت هكذا بدون حق، هذا الشيء كيف نستهين به؟ كيف نغمض العين عنه؟ وأنا قلت

بالأمس وأقول وفي نداء وجهته لإخواننا في بعض البلاد التي يشيع فيها هذا الشيء ونسأل الله لنا ولهم العفو والعافية، في القريب العاجل، قلت يا إخواننا أي إنسان يقوم بعمل ينبغي أن يغمض عينه قبل أن يقوم به ويتخيل أنه مات وأنه حشر، وأنه يقف بين يدي الله وأن الله يحاسبه يقول له لماذا فعلت هذا الفعل؟ ماذا هي حجتك التي ستخاصم عن نفسك بها يوم القيامة؟ الآن ابحث عن هذه الحجة، إذا رأيت نفسك تعتمد على حجة تستطيع أن تنجي نفسك بها من حساب الله فقل.

لكن يا أخي إذا وجدت أنك لا تملك حجة تنجي بها نفسك من سخط الله ومن هذه الظلمات التي يتحدث عنها رسول الله، إياك يا أخي إياك، دعك من الخوض في هذه الظلمات، وليقتلك الحاكم وكما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(أسبل ثوباً على وجهك حتى لا ترى عينك شعاع سيفه)** وليقتلك، أنت بهذا ماذا فعلت؟ ضحيت بنفسك في سبيل أن تحقن دماء إخوانك، لاحظوا كم الأمر عظيم وكم جليل، إن أنت قابلت الأمر سيتسع ثم سيتسع وإذا ازداد الأمر اتساعاً سيخرج من يدك ومن يد خصمك، ولا تستطيع إطلاقاً أن تحجمه، كالنار التي تتسع حتى تتشعب هنا وهنا وهناك، لا يستطيع أحد أن يحصرها أو أن يقضي عليها، إذاً هذا هو الأمر الأول، الذي حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذر منه الله وحذر منه رسول الله في أحاديث كثيرة، وقبيل وفاته.